الكاتب: د/ عياد أبلال
أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوري لمهن التربية والتكوين/ فاس/ مكناس/ المغرب

البريد الالكتروني: ablalsocio@gmail.com

عنوان المقال: الصحافة والتاريخ الذاكرة الجماعية من الحس المشترك إلى الثقافة العالمة

تاريخ الإرسال: 2019/06/01 تاريخ القبول: 2019/06/18 تاريخ النشر: 2019/06/30

الصحافة والتاريخ
الذاكرة الجماعية من الحس المشترك إلى الثقافة العالمة
Press and History
Collective memory from common sense to scholarly culture

ملخص:

يعالج هذا المقال، علاقة الصحافة بالتاريخ، من خلال البحث في مساحات التعالق ما بين هذين التخصصين، محاولا هدم وتفكيك الجذران التي كانت وما تزال تفصلهما بشكل تعسفي، عبر التأسيس للمشترك الذي يجد تجلياته في الذاكرة الجماعية، من خلال اشتغال كل من التخصصين على نقلها من معرفة الحس المشترك إلى الثقافة العالمة، وبهذا ينبثق دور وظيفي يجمع المؤرخ بالصحفي، كما يجمع الصحافة بالتاريخ، وهو دور تنويري في العمق، لما له من قيمة حيوية في تغيير أحوال الشعوب والأمم، عبر نشر الوعي وتعميمه، من خلال إضاءة الماضي بغية فهم الراهن والحاضر.

لقد اهتم عدد كبير من الباحثين والإعلاميين، ناهيك عن المؤرخين بطبيعة هذه العلاقة التي تهدم في العمق مفهوم المؤسسة الجامعية التقليدية، التي جعلت من تخصص التاريخ تخصصاً ضيقاً وخاملا، لا يبرح أسوار الكليات، كما لا يبرح الماضي، كما تهدم الرؤية التقليدية للصحافة المرتبطة بنقل الحرفي للأخبار والأحداث، دون البحث في خلفياتهما، وهو ما نحاول تفنيده جملة وتفصيلاً، حيث أصبحت الكتابات الصحفية والتغطيات

الإعلامية مصدراً من مصادر التاريخ المعاصر، في تسجيلها للأحداث الراهنة للمجتمعات المعاصرة بحكم متابعتها اليومية للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية. مما يجعل الصحافة شريكة في عملية التأريخ، كما يجعل المؤرخين في تعليقهم على هذه الأحداث بالبحث في جذورها في الماضي إعلاميين مشاركين في صناعة الخبر.

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الصحافة، المؤرخ، الصحفي، الذاكرة الجماعية، الذاكرة الشعبية، الذاكرة العالمة، الماضي، الراهن.

Summary :

This article deals with the relationship between the press and history by looking at the similarities between these two disciplines, trying to destroy the walls that were and still separates them arbitrarily by putting the finger on their common points which manifests in the scholarly collective memory.

It is an enlightening role in depth, because the cooperation between the historian and journalist changes the conditions of peoples and nations by spreading awareness and spreading it by lighting the past in order to understand the present and the moment.

A large number of researchers, media professionals and historians, have been interested in the nature of this relationship, which is destroying in depth the concept of the traditional university institution, which has made the specialization of history a narrow and passive specialty.

The press writings and media coverage have become a source of contemporary history in recording the current events of contemporary societies by virtue of their daily follow-up of political, social and cultural events. this

Made the press a partner in the process of history, and makes historians comment on these events by searching in events roots in the past, and the journalists involved in the industry news.

Keywords:

history, journalism, historian, journalist, collective memory, folk memory, past, moment.

مقدمة:

شغلت العلاقة بين الصحافة والتاريخ العديد من الباحثين في حقول معرفية عديدة، بالنظر إلى ارتباطهما المركب بالماضي والحاضر، حيث تعتبر الكتابات الصحافية مصدراً أساسياً للتأريخ، فهي سجل يومي لتطور دينامية المجتمعات بحكم متابعتها اليومية للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية.في الوقت نفسه، فإن العديد من الصحافيين ساهموا في تأريخ العديد من الوقائع والمحطات في مؤلّفاتهم من خلال الاعتماد على الأرشيفات الصحافية التي تحتوي وثائق مهمة، كما شارك مؤرخون كثر في تأسيس الجرائد منذ نشأتها وكان لهم دورهم في تطوير الكتابة الإخبارية ومعاييرها.

ضمن هذا السياق، اختار أستاذ التاريخ الاقتصادي والمؤرخ المغربي الطيب بياض "الصحافة والتاريخ، إضاءات تفاعلية مع قضايا الزمن الراهن" عنواناً لكتابه الصادر حديثاً عن منشورات "كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق" و"دار أبي رقراق" في الدار البيضاء، والذي قدّم له الكاتب والصحافي إدريس كسيكس ([1]).

تتأسس الكثير من المفاهيم على حدود وتخوم علاقة الصحافة كصناعة للخبر وتداوله، وكبحث عن حقيقة الأشياء، والتاريخ كبحث وحرفة تبتغيان ربط البحث عن الحقيقة الأحداث في امتدادها الزمني إلى الماضي، عبر دراسة سجل الأحداث والوقائع في زمنية حدوثهما، والتي أثرت على أمة أو شعب أو مجتمع، على أساس الفحص النقدي

لمختلف المصادر والشواهد والوثائق، ولفهم الأسباب والعوامل التي تحكمت في هذه الأحداث، وبين الماضي والراهن، تنبثق مفاهيم: التاريخ الفوري، الصحافي المؤرخ، المؤرخ الصحفي، التاريخ التداولي...إلخ من المفاهيم التي تؤسس لمنطق التمس والتوسط بين علم التاريخ وصناعة الصحافة، وهي منطقة لا تنفصل عن الأخلاق باعتبارها سند الترافع باسم خطاب الحقيقة.

إن الحديث عن التاريخ، كبحث في الأحداث وماضيها غير منفصل في أدبيات مدرسة الحوليات، عن الحاضر والراهن، والصحافة باعتبارها تأريخا للأحداث والوقائع في زمنيتها الراهنة، هو حديث في العمق عن الذاكرة الجماعية، بكل الأطر الايديولوجية لإنتاج المعرفة التاريخية، حيث يصبح المؤرخ كما الصحافي أطرا لإنتاج هذه المعرفة، بما هي تحويل الذاكرة الجماعية من بعدها الشعبي العفوي إلى بعدها العالِم. من هنا سنحاول مقاربة هذه العلاقة من خلال دور كل من الصحفي والمؤرخ في تدوين معرفة عالمة بالوقائع والأحداث، التي تنتفي معهما كل أوهام وزيف وكذب وتضليل يخفي صراعا حول السلطة، بما هي اقتصاد للمعرفة السياسية التي تضمر صراعاً حول المصالح، ويبدو بذلك أن التاريخ كما الصحافة هما خطابا المهيمن والقوي.

1- التاريخ والصحافة وكتابة الذاكرة الجماعية

تعد الذاكرة الجماعية خزانا لثقافة الشعوب وتاريخها، بما تحمل الثقافة من عمق أنثربولوجي، ويحيل التاريخ على سيرورة الانسان في الزمن والمكان، بحيث تمد هذه الذاكرة الجماعية الشعوب والمجتمعات بالسلوكات والمواقف والقيم، كما تمد الأفراد مهما اختلفت ثقافتهم وتوجهاتهم بالطاقة الضرورية للاستمرار والديمومة،ومن ثم تتخذ هذه الذاكرة أبعاداً متعددة حسب سياقات توظيفها واستغلالها،بحيث يصبح البناء الثقافي أحد تجليات هذه الذاكرة ومؤشراتها القوية التي تتخذ أشكالاً وصيغاً متعددة ومختلفة حسب طبيعة الرابط الاجتماعي الذين يصل بين مكونات المجتمع الثقافية،الاجتماعية

والسياسية،وهو ما تناوله تناولته الكثير من الدراسات والأبحاث في المجتمعات المتقدمة تحديدا، لما لهذا الموضوع من أهمية استراتيجية.

وإذا كانت الصحافة، بما هي تجاوز للإخبار والاعلام، هي إضاءة لسياق تشكل الحدث/ الأحداث بشكل يجعلها في العمق، تحقيب وبحث عن مرجعيات الحدث وإواليات، ومن هنا تتأسس الصحافة على فك شفرة زمنية الحدث وتاريخانيته، خاصة وأن الحدث هو نتاج لتفاعل ثلاثية: الانسان، الزمن، المكان. ولهذا فنقل الحدث، هو نقل لظروف نشأته وبروزه الذي يضمر في العمق الزمن، بما هوسيرورة انبناء منفتحة على منطق الاحتمال الارسطي، فهو ممتد في الماضي، كيفما كانت طبيعة هذا الماضي بسيطة أو مركبة، وعاكس للحاضر، بما هو العالم كمعطى، ومنفتح على المستقبل، من خلال زمنية التأثير الممتد في المستقبل، طالما أن الحدث، وهو يتجاوز مفهوم الاخبار الصحفي، يدخل في منطق السبب والعلة لربط السابق باللاحق.

وهنا نكون أمام اشتباك وتعالق التاريخي بالصحفي، والتأريخ بالصحافة، فما هي طبيعة هذه العلاقة المركبة، على مستوى بناء المعرفة التاريخية – الصحفية، طالما أن أسس وأساس كل من الصحافة والتاريخ، يكمنان في المعرفة باعتبارها خطابا ميتا حدثياً، وخطابا يرتكز في العمق على العلم، بما هو حكم الوجود بالتعبير الفلسفي للكلمة؟.

يقودنا هذا السؤال إلى استحضار كتاب هالبواش"الأطر الاجتماعية للذاكرة"، حيث تم التشديد على العمل الخاص بالاندماج والتوحيد الذي يحققه كل ثقافة بدءا من المساهمات المتنوعة التي تأتي إليه من المكونات المختلفة للمجتمع، فبالنسبة لكل ثقافة يمكن القول أنها تقوم بصورة رمزية إلى حد ما بإعادة إنتاج تاريخ نزوح واندماج الأنواع البشرية والعشائر، وكذلك الأحداث الكبرى من حروب، مؤسسات، اختراعات وإصلاحات...إلخ. تلك التي نجدها في صميم أصل المجتمعات التي تنتج وتمارس ذلك كله، حيث تكمن الدينامية الخاصة بتقليد ثقافي ما من وجهة نظر التحديات التي يواجهها المجتمع في لحظة معينة، في قدرتها على أن ترتب في منظومة واحدة الشعائر والمعتقدات

والطقوس وبنيات المتخيل، التي تأتي من الماضي والتي مازالت تتمتع بحيوية بدرجات متنوعة داخل المجموعات المختلفة.

إذا كانت ديناميكية العلاقات الاجتماعية تطور المعارف والتقنيات، العلاقات التي يحتفظ بها المجتمع مع البيئة المحيطة به، مصالح الفئات المسيطرة داخله، كل ذلك يحول المعتقدات القديمة ويؤدي إلى ظهور أفكار جديدة ([2]). تجعل من الذاكرة الثقافية، ذاكرة جماعية. فإن التاريخ الحقيقي للجنس البشري، بما هو تاريخ الاتجاهات المدْرَكة من قبل العقل، لا تاريخ الأحداث المميزة من قبل الأحاسيس بتعبير هنري توماس بوكل([3])، يجعل الذاكرة الجماعية المرتبطة بالأحاسيس والمشاعر،بكل ما يختلط في تكوينها من خرافات وأساطير، تتحول إلى ذاكرة عالمة، أساسها المعرفة بكل اشتراطاتها المنهجية والعلمية.

ولهذا تصبح الذاكرة الجماعية رهان بناء مستعاد بشكل غير محدود، من قبيل الماضي المدشن من قبل الحدث التاريخي للبناء الذي يمكنه أن يكون مستوعبا في كل لحظة كمجموع معاني، بحيث نفترض أن دلالة تجربة الحاضر مستوعبة بشكل ثابت في الحدث المؤسس، فالماضي قد تم تشكيله رمزيا ككل، وهو غير قابل للتغيير"وموقع خارج الزمن"، يعني خارج التاريخ، فبالعلاقة الثابتة بهذا الماضي تعرف الجماعة الثقافية نفسها بشكل موضوعي وذاتي ك"خط اعتقادي" حسب تعبير هيرفيو ليجي([4])، وهنا يتجاوز الخط الاعتقادي المفهوم الديني، الذي قال به هيرفيو ليجي ليشمل الاعتقاد السياسي، الاجتماعي والثقافي، وهذا يعني أنها تتشكل وتعيد إنتاج نفسها كليا انطلاقا من عمل الذاكرة الجماعية التي تغذي هذا التعريف الذاتي..

من هنا يتأسس فعل الانتماء إلى الجماعة، على فعل الانخراط في همومها ومآسيها، في أحزانها وأفراحها، بشكل يجعل هذا الانخراط المؤسس على قاعدة أنثربولوجيا المشاعر والأحاسيس، لا ينفصل عن قاعدة المعرفة العلمية، بما تفرضه من حياد وموضوعية، إلا لكي يؤسس لأفق التعالق الأخلاقي الذي يجد في الانتماء إلى الوطن، أفقا للالتزام الذي يكسر رتابة الخط الابستيمولوجي المؤسس لشرعية التاريخ، حيث تبرز مساحة التمفصل

بين الخطابين التاريخي والصحفي، فعندما يثير مارك بلوك "شرعية التاريخ" في كتابه " أبولوجي"، فالإشكال الابستيمولوجي للتاريخ يتجاوز عنده المستوى المعرفي والعلمي، ليأخذ لبوس المواطنة ووازع الأخلاق. فعلى عاتق المؤرخ تقع مسؤوليات ينبغي القيام بها، وهو في ذلك لا يختلف عن أي حرفي يفترض فيه الإخلاص لواجبات صنعته، بضمير مهني(5).

ولأجل ذلك، ينبغي تصحيح المسار، وتنقية الشوائب، وكسر جرة النمطي، وإعادة توجيه البوصلة، بما ينسجم وجدوى التاريخ وشرعيته وقواعد حرفته. وإذا كان التاريخ يتجاوز مفهوم زمنية الماضي كأحداث ووقائع جامدة، حيث تنتفي المصالح والصراعات، أو تخفت حدتها، مما يجعل قيمة الموضوعية، ثاوية في عمق جمود سلطة الماضي، فإن تجاوز التاريخ لمفهوم التحقيب، بما يحيل ذلك على فلسفة التاريخ، يجعل المؤرخ وهو يتناول الراهن والحاضر على فوهة بركان الشرعية السياسية التي تحتد كلما ولجنا أعماق العجز الديموقراطي وفوران السلطوية التي تعمل على تمجيد الراهن، وفصله عن الماضي، الذي يجب فهمه كماض انتهى، دون تجاوزه للحديث عن الحاضر، باعتبار زمنيته بانية للحكم والسلطة، خاصة وأنه يفكك الراهن برده إلى أساسه ومرجعياته في الماضي، ويفهم الماضي من خلال استمراريته في الراهن، مكسرا بذلك القاعدة الوضعانية التي تجمد التاريخ في الماضي، دون أن تجعله منشغلا بالحاضر والآني والراهن الماثل في الأفق التفاعلي، الذي لا ينفصل عن النقد، بما نتاج للتفكيك والتحليل والتركيب.

ضمن هذا الأفق، نلتقي مع تقديم المؤرخ محمد حبيدة، لكتاب بياض، حين قال: " يكسر المؤرخ الطيب بياض القاعدة الوضعانية القائلة" لا يولد التاريخ كمرحلة إلا عندما تموت هذه المرحلة، لأن ميدان التاريخ هو الماضي"، وينزع نزوعا صريحا نحو ما أكد عليه مارك بلوخ، مؤسس مدرسة الحوليات، كون أن فهم الماضي لا يتأتى إلا بإدراك القضايا التي يطرحها الزمن الراهن، في إطار حدلية زمنية منتجة، من هنا تتبين الأهمية البالغة التي يقترحها موضوع الصلة بين المؤرخ وحسه الزمني والصحافي زهاجسه الآني، في قالب يجمع بين الصرامة الأكاديمية والصنعة الأدبية".

ضمن هذا الأفق، يعيد المؤرخ ترتيب الأشياء، وتصحيحها وفق رؤية تقويمية وتقييمية في الأن نفسه، ولذلك، فهو يعيد قراءة الماضي لفهم الراهن، ويقرأ الراهن من خلال فهم الماضي، يحول الذاكرة الجماعية من بعدها الزمني المحض إلى بعدها الثقافي-التفاعلي، بما يجعل زمنية الثقافي زمنية مستمرة في الحاضر وممتدة في التغيير، وهو بذلك منشغل بسؤال البنيات وإواليتها المتحكمة في سؤال الراهن. إنه مخبر بالحال والمآل، حيث يلتقي في بعده الاخباري بالصحفي كناقل للخبر ومتفاعل معه، فإذا كان الخبر مقدسا، فإن الرأي حر، والصحفي ل ينقل الخبر إلا لكي يعلق عليه، ويساهم ضمن منظور تفاعلي وتواصلي في إضاءة حيثياته ومرجعياته المخترقة لسيرورة الزمن من جهة، وخلفياتها الثقافية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، حيث يتماهى الصحفي والمؤرخ في منطقة تمفصل سلطة الحكم والتقييم.

إنهما قاضيان يصدران حكما على مشمول القضايا المؤسسة للأحداث، بالبحث عن الحجج والبراهين، لإصدار أحكام الوجود، بما تتطلبه من تجريبية وعلمية وموضوعية، تقتضي ضمن ما تقتضيه الشك المنهجي لتميز الكذب عن الحقيقية، بحيث تظل أحام تحقيق، وليس أحاما قطعيا، لطالما أن الكتابة التاريخية حسب "بول ريكور" هي كتابة مستديمة، بما تقتضيه من إعادة الكتابة، وهنا مكمن الاختلاف بين الحكم التاريخي المؤقت والحكم القضائي النهائي، لكنهما وهما يصدران هذا الحكم على قضايا لا تنفصل البتة عن المشاعر والأحاسيس، طالما أن الحدث هو حدث إنساني بالدرجة الأولى، فإنهما ملزمان وهما يصدران أحكام الوجوب، بتوظيف لغة أدبية رفيعة تتأسس على بنيات المشابهة وأساليب البلاغة وقدرات الاستعارة من أجل إدماج القارئ والمتلقي في الشبكة الدلالية للتاريخ، كما الصحافة، في انشغالهما بسؤال النقد كسلطة معرفية اقتضى التقدم البشري، على أن تكون سلطة فاحصة لمستويات تشكل السلطة السياسية التي تتشكل على قاعدتي الحجب والإخفاء، في حين تتأسس سلطة المؤرخ والصحفي على التجلي والظهور.

ضمن هذا السياق، يؤكد المؤرخ بياض أن التقدم الحقيقي حصل في اليوم الذي لعب فيه الشك دور الفاحص، حيث جرى وضع قواعد الموضوعية التي ميزت بشكل تدريجي بين الكذب والحقيقة، وأرست أسس الفرز والانتقاء(6)، جرى ذلك على مراحل منذ مطلع القرن السابع عشر، إذ انطلق مع "دانيال بابينبروك، ثم تعمق تدريجيا مع كل من "جون مابيلون" و"ريتشار سيكون"، وهو جيل مؤسس لقح التاريخ بالنقد، والذي تعزز بعملي سبينوزا" رسالة في اللاهوت والسياسة"، و"خطاب في المنهج" لديكارت(7). يبقى على المؤرخ إذن أن يتقن دور قاضي تحقيق غاضب من بعض الأدلة التمهيدية، حيث يسهل غياب الحذر فرض الصور المشينة، وهو يدرك بعيدا عن السذاجة أن شهوده يمكنهم أن يخادعوا أو يكذبوا، لكن ينشغل قبل كل شيء بجعلهم يتحدثون، لكي يفهمهم. فالملاحظة والشك والسعي للفهم والتفسير، والمقابلة بين الشواهد والنفاذ للمسكوت عنه فيها بنفس نقدي، وقوة استشعار حادة تميز بين المحتمل وغير القابل للاحتمال، كلها مداخل تؤمن للتاريخ مكانا محترما بين العلوم(8).

لذلك يمكن القول، بأن التاريخ هو علم للذاكرة الجماعية، وأحد مداخلها العالمة، والتي تعمل على تشذيبها من الزيف والأوهام وأحام القيمة، بالقدر الذي يجهل المؤرخ وهو يبحث عن الحقيقة، لا ينفصل عن الأخلاق، طالما أن الحقيقة هي غاية علمي الأخلاق والتاريخ. ذلك ما سبق أن نبه إليه "مارك بلوخ" بشكل أكثر صرامة، قبل أزيد من نصف قرن، إذ يرى "جاك لوغوف" في تقديمه لكتاب بلوخ عن صنعة المؤرخ أن رفيق درب " لوسيان فيفر" في تأسيس مجلة الحوليات، كان يمقت المؤرخين الذين يصدرون الأحكام عوض أن يعمدوا إلى الفهم، وهو الحريص على ترسيخ أقدام مهنتهم بشكل أعمق في الحقيقة والأخلاق، إذ الحقيقة غاية علم التاريخ والأخلاق ومنتهاه)(9)، ألم يكن المنصب الذي شغله "جول ميشلي" في الكوليج دو فرنس بين 1838 و 1851، هو كرسي التاريخ والأخلاق؟.

ضمن هذا الأفق المرجعي لأخلاق تأسيساتية للتاريخ، تنشأ أخلاق المرافعة من أجل الحقيقة في نسبيتها، بما هي أخلاق مؤسسة لرابط الاجتماعي، وهنا نستحضر "موريس هالبواش" في تقعيده للعلاقة البانية للذاكرة الجماعية والرابط الاجتماعي، بما هو رابط تفاعلي وتواصلي في الان نفسه. الشيء الذي جعل عددا كبيرا من المؤرخين في العالم، ينتصبون معرفيا للمرافعة من أجل الحق في المعرفة التاريخية، باعتبارها معرفة بالذاكرة الجماعية، معرفة عالمة، وهو ما قوض أسوار وجدران الجامعات والمعاهد التاريخية، كي تقيم جسورا مع المجتمع الباحث عن حقيقته الثاوية في مضمرات الخطاب التاريخي الأكاديمي، وهي جسور نشأت في البداية عن طريق البحث الصحفي الذي كان يستأنس بالمؤرخ وكتبه وخطاباته، لإضاءة تفاعلية مع قضايا الراهن، وهو العنوان الفرعي لكتاب بياض. لينتقل المؤرخ ذاته إلى كاتب ومناظر ومخاطب صحفي ينطق باسم الحقيقة التاريخية، وبما أن هذه الحقيقة تسكن تخوم السلطة والسياسة وتشغل حدودها الفاصلة، فإنها سرعان ما سوف تجد نفسها في عمق العلوم الاجتماعية والانسانية، خاصة على مستوى انتاج خطاب المرافعة، دون أن تهمل حدودها المنهجية والابستمولوجية.

يقول الطيب بياض في هذا السياق:" كان مشروع رائدي مدرسة الحوليات(لوسيان فيفر ومارك بلوخ)، وهما يهمان باخراج التاريخ من أزمته محكوما بخلفية أن " ليس ثمة مشروع علمي منفصل عن مشروع السلطة"، في أفق الاستجابة لتحديين اثنين: السعي من وجهة نظر ابستمولوجية إلى تحديد الإطار النظري الكفيل بإخراج التاريخ من تصلبه الواضح، والحرص استراتيجيا على استعادة التاريخ لصولجانه في مواجهة سوسيولوجيا فتية وديناميةاعتبرت غازية، أو بلغة فرانسوا دوس: ' إن نجاحها ه نتيجة استراتيجية التحكم في الإجراءات، في لغة العلوم الاجتماعية المجاورة وفي قدرة هائلة على الاستيلاء لنفسها على لباس الأخرين من أجل إعادة كساء عجوز غير كريمة تحولت إلى آكلة لحوم البشر... أن الجمع بين استراتيجيا حازمة للتحالفات ونزعة ابستيمولوجية تسمح لمدرسة الحوليات

بالقضاء على خصومها. إنها امبراطورية شاسعة تلك التي شيدتها بفعل حرب الكر والفر والتي كانت فيها لغة الاستراتيجيات العكسرية حدود، أراضي.... بمثابة أهداف متعددة حتى الاستيلاء الشامل([10]).

لقد بات المؤرخ مرمما لشظايا الذاكرة الجماعية ولاحم لتعدد موردها ومرجعياتها. إنه وهو يحول التاريخ المتعدد الزوايا والشظايا إل تاريخ تداولي شعبي بما تحمله الكلمة في قاموس التلقي الواسع الانتشار، يعمل على توحيد الذاكرات الفرعية للتاريخ المحلي، بتاريخ السير والبيوغرافيات بتاريخ الطبقات والنخب والجماعات، بتاريخ البلدان والاسر والقبائل الحاكمة، بالتاريخ الحولي، دون أن ينفصل مرجعيا على التاريخ الموسوعي، العالمي، حتى وإن كانت متخصصا في حقبة تاريخية دون غيرها.

2- من التاريخ إلى الصحافة، أو حين يصبح المؤرخ صحافيا

إن التاريخ وهو يعيد ترسيم حدوده، متجاوزاً ضيقه الزمني والمكاني، وموسعاً من قدرته على التأثير في الرابط الاجتماعي، معبداً طريقاً سياراً للمجتمع باتجاه ذاكرته الجماعية، وفق مراوحة بين الذهاب والاياب بين الراهن وماضيه، وبين الماضي وراهنه الممتد في الهنا والآن، قد وجد نفسه ينتج خطابا جديداً

مع مدرسة الحوليات، التي تلتقي مع التاريخانية في الخطاب الأنثربولوجي، لذلك، فالمؤرخ، وهو ينصهر في الذاكرة الثقافية لمجتمعه، بما هي جزء م الذاكرة الجماعية للانسانية، وجد نفسه، ينتقل من المؤرخ الجامد القابع في ثنايا الماضي، إلى المؤرخ الفاعل والمنفعل بقضايا الراهن، منتجا خطابا مرافعاتيا من أجل الحقيقة هنا والان. لقد تحول إلى مناضل معرفي بكل ما تحيل عليه العبارة من تورط والتزام تقتضيهما تفاعليته بالزمن الراهن.

ضمن هذا الأفق، يحاول المؤرخ الطيب بياض، التأسيس لهذا الانتقال/ التحول، عبر استحضاره لعدد كبير م الأمثلة، غربياً، ليضيء بالنهاية انتقال هذه التجربة إلى المغرب عبر عدد من الأمثلة لمؤرخين لبسوا جبة الصحفي، وصحفيين لبسوا برنس المؤرخ، عبر

استنطاق تجاربهم، واستنطاق خطاباتهم عبر مختلف الأسانيد ورقية كانت، مثل المجلات والدوريات والصحف، أو كانت سمعية بصرية، من قبيل البرامج التلفزية.

ضمن الأفق نفسه، تأتي تجربة المؤرخ "فرانسو فوريه"، الذي يقول عنه بياض: " لقد امتلك فرانسوا فوريه الجرأة مبكرا للتعليق بشكل منتظم على الأخبار السياسية المحلية والدولية، في مجلة أسبوعية يسارية، فكانت مجازفة قد ينتج عنها "احتراقه"، أي التضحية بمساره منذ البداية، بعد أن خرق القاعدة المقدسة للمسافة الزمنية المفترض أن يحترمها المؤرخ، مما جعل "ألبير سوبول " ينعته بازدراء' إنه صحافي أكثر منه مؤرخا"، معتقدا أنه بهذا الشكل يطرح أرضا من تجرأ على الخوض معه في موضوع الثورة الفرنسية([11])، لكن السوربون كانت هناك أيضا، حققت التوازن، وحالت دون جعل إغراءات الصحافة مجرد نزوة شبابية عابرة لفرانسوا فوريه، فبقدر حرصه على مساره الأكاديمي كان على بينة من أمره فيما يريده بالصحافة وفي الصحافة، مما جعل وفاءه لهما طويلا ومزدوجاً من أول مقال له صدر في مارس 1958، إلى أخر مقال في يونيو 1997 قبيل وفاته، إذ ظل وفيا لنشاطه الصحفي ولهوية المجلة وخطها التحريري، باسمها القديم والجديد: "فرانس أوبسرفاتور"و"النوفيل أوبسرفاتور". الشيء الذي أتاح للمؤرخ المتفاعل مع شؤون عصره عبر آلية الإعلام إمكانية السفر بقرائه في الزمن لمدة أربعة عقود، قام فيها بدور المعلق الفضولي والحيوي على قضايا وأحداث اخترقت المشهدين السياسي والثقافي محليا ودوليا([12]).

وانتقالا من السياق الغربي إلى السياق العربي والمغربي تحديداً، يمكن استحضار عدد مهم من المؤرخين المغاربة الذين بصموا المشهد الإعلامي بمقالاتهم وتصريحاتهم المرتكزة بالأساس على العمق التاريخي كحرفة، وكرؤية ومنهج في تحليل وتأويل الأحداث، كما جعلوا من توظيف الصحافة كوثيقة منفذا لتأريخ الراهن في مختلف تجلياته. ضمن هذا الأفق دشن المؤرخ جامع بيضا دروبا بحثية لاستثمار الصحافة في كتابة تاريخ المغرب، سواء من خلال أطروحته الجامعية حول الصحافة المغربية الناطقة بالفرنسية، أو سعيه

لخلق مشتل للتكوين في هذا النوع من الاهتمام، عبر إشرافه على أطاريح جامعية تسير في نفس المنحى، فيما اختار المصطفى بوعزيز أن يقتحم بحمولته الفكرية وتكوينه الأكاديمي مجال الصحافة، ساعيا لضمان الإشعاع والانتشار الأوسع للحقل المعرفي الذي ينتمي إليه([13]). وهو ما صار على دربه المؤرخ الطيب بياض، الذي ولج مجلة زمان المغربية في صيغتها العربية مستشارا علميا للنشر، وكاتب عمود شهري، يحلل من خلاله مختلف الأحداث الراهنة والمعاصرة بأدوات المؤرخ ومنهجيته في التحليل والتركيب الذي لم ينفصل لديه عن وظيفة المؤرخ النقدية.

3- من الصحافة إلى التاريخ، أو حين يصبح الصحافي مؤرخا

إذا كان عدد المؤرخين الذي لبسوا جبة الصحفي والإعلامي ناطقين باسم الحقيقة التاريخية إعلاميا، قليل مقارنة مع الصحفيين والإعلاميين الذين اشتغلوا بسؤال التاريخ، وحققوا انهماما معرفيا مع المؤرخ، فإن طبيعة الصحافة تقتضي أن نقل الخبر، وحتى التعليق عليه، بناء إستراتيجية تأويلية تخضع في العمق لفلسفة التاريخ في امتداداته المعرفية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، بما هي بالنهاية محصلة مفهمة ومقولة الذاكرة الجماعية، ولهذا، فإنهم على مستوى الكتابة والخطاب على المعرفة التاريخية، وهو ما يجعل حدود الاتصال/ الانفصال، تثير الكثير من المشاكل الابستمولوجية، بل والصراعات الحقلية، باسم التخصص والشرعية. وهو ما يحاول الطيب بياض أن يستدل عله من خلال أمثلة متعددة، نجد من بينها، تجارب كل من "فانسون كيفي"، "جون لاكوتير"، " ليون تروتسكي"...إلخ.

تأسيسا على هذه الحدود، يطرح الصحافي/ المؤرخ "فانسون كيفي" في مقاله المعنون ب"الصحافة تاريخ بلا مؤرخ"، سؤال الاشتغال بالتاريخ من طرف الصحافيين دون سابق تكوين يحاكي تكوين المؤرخ، فإذا كان المؤرخون قد عمدوا إلى نحت تعبير "التاريخ الفوري" للدلالة عن مادة اشتغالهم عندما يتعلق الأمر بالزمن الراهن، أي بفترة هم أنفسهم فيها فاعلون، وهي حقبة تنتفي فيها المسافة الزمنية التي طالما اعتبرها المؤرخ إحدى

ضروريات صنعته، فإن ما يعيبه صاحب "ماذا ل انتصرت ماي 68، على جل الصحافيين، هو " أن نظرة غالبية ممتهني الإعلام عن مهنتهم بالنسبة لأي مؤرخ حالي، تشبه إلى حد كبير تلك التي كانت لدى المؤرخين عن مهنتهم في القرن التاسع عشر نظرة ساذجة غير واعية ولا مسؤولة. وبما أن الحقلين، أي التاريخ والصحافة،" يجمعهما بالضرورة هدف واحد، التعريف بحقبة ما، حدث ما، تطور ما، فعلى الصحافي الاقتداء بالمؤرخ المجدد في الاشتغال على ذاته للرفع من مستوى تكوينه وتطوير مهاراته وأدوات عمله([14]).

في سياق مختلف، يكاد يرى مؤرخون أخرون، أن اشتغال الصحفي بالتاريخ والانهمام به، لا يشكل طعنا في حرفة المؤرخ وأبعاده الاكاديمية، ولا ينتقص من قيمة التاريخ كعلم، ولذلك ف"جون لاكوتير" لا يجاري كثيرا "فانسون كيفي" في نقده الحاد للصحافيين، إذ "لا يتعلق الأمر هنا بالخلط بين التاريخ والصحافة من أجل مجد هذا وعار تلك، فعندما وصف ألبير كامي الصحافي بأنه مؤرخ اللحظة، وهو نفسه صحافي كبير ومرجع لكل مؤرخ مهتم ببدايات الجمهورية الرابعة، لم يكشف إلا عن جانب واحد من المسألة. إن المرجعية للزمن ليست أمرا تافها، لكن ما يعوق الصحافي ليس التسرع في البحث، بقدر ما هو قلة مصادره ونذرة التحقيقات المقارنة التي يقوم بها"([15]) ، مثلما يرفض صراع الديكة المفترض بين الصحافة والتاريخ، إذ يؤكد على تقاربهما، ويتحدث عن "تعالق المؤرخين والإعلام، في انتظار أن يكون ذلك بين الصحافة والصرامة التاريخية، فإذا لم يكن من الناذر سابقا أن نجد صحافيين يتحولون إلى مؤرخين ناجحين- حالة "جاك كايرز"- فربما لم يحصل أبدا أن شاهدنا مؤرخين جديرين بهذه التسمية مثل "فرانسوا فوريه" و"جاك جوليار " وهم يمارسون الصحافة باهتمام ثابت ([16]).

إذا كان الأمر كذلك، فإن اشتغال الصحفي على التاريخ لا يجعله مؤرخا، مثلما هو الحال بالنسبة إلى المؤرخ الذي يشتغل بالصحافة، على مستوى الكتابة، بحيث لا يمكنه أن يتحول إلى صحفي، بكل ما يجعل من مطقة التماس بين التخصصين مساحة رحبة كفيلة بتحويل التاريخ من خطاب أكاديمي ونخبوي إلى معرفة مبثوثه للعموم. بما يجعل

ترسبات محتويات الذاكرة الجماعية، تخضع لشرطي التشذيب والغربلة التي يقتضيهما المنهج كسند ابستيمولوجي بتحويل خطاب الذاكرة العفوي والخرافي والاسطوري إلى خطاب عالم.

ضمن هذا الأفق، يشير المؤرخ بياض إلى الدور الكبير الذي قام به عدد من الصحفيين في تأسيس لتاريخ تداولي، ولنشر المعرفة التاريخية، أو ما يمكن أن نسميه بالتاريخ الفوري، من خلال مثال "جون لاكوتير"، الكاتب الذي طبقت شهرته الأفاق، فهو الصحافي الألمعي في العديد من المنابر الإعلامية، وإن ارتبط اسمه أكثر بجريدة لوموند بالدرجة الأولى ثم مجلة "النوفيل أوبسرفاتور" بدرجة ثانية. أشرف على سلسلة التاريخ الفوري في دار النشر سُوُي، فراكم من الخبرة والتجربة والتكوين ما أهله ليكون مرجعا في كل حديث عن علاقة الصحافة بالتاريخ تنظيرا وكتابة، ففي الجانب الأول لم يكن من باب الصدفة أن يرد اسمه ضمن منظري التاريخ الجديد، الذي أشرف عليه "جاك لوغوف"، متحدثا عن التاريخ الفوري. إذ اطلع على أسرار الحرفة وتشرب أدوات الصنعة وما عرفته من تجديد وتطوير، وهو الذي نسج على منوال مارك بلوك في اعتبار التاريخ علما للتغيير(...)، يستحضر "جون لاكوتير" وضعيات مختلفة تتقاطع فيها الكتابة الفورية بالتاريخ، كأن يكون الكاتب جزءا من التاريخ الذي يدونه متماهيا معه، كما هو الشأن مع "إدغار موران" الذي نشر سلسلة مقالات في صحيفة لوموند من قلب أحداث ماي 1968، أو "ليون تروتسكي " عندما دون تاريخ الثورة الروسية والأمل يحذوه في تغيير مسارها، أو يكون صاحب "سلطة" في التاريخ الذي كتبه كحالتي شارل ديغول ومارك بلوك في الحرب العالمية الثانية([17])

4- الصحافة بطعم التاريخ في السياق المغربي

ينتقل المؤرخ الطيب بياض، ضمن نسق منهجي بديع بلغة أدبية رفيعة المستوى بلاغيا واستعاريا، وهي لغة تجعل من خطابه في التاريخ وحول التاريخ، لغة دسمة بتوابل تمتح من شعرية لغته عوالمها الجمالية، وهي لغة قلما تجدها في كتابات معاصريه. ينتقل إذن من السياق الغربي، الفرنسي، والروسي إلى السياق العربي، عبر جرد عدد من النماذج

والتجارب، من بينها، محمد حسنين هيكل ، والمغربي محمد باهي، العربي المساري، سمية المغراوي، المصطفى بوعزيز، جامع بيضا، حسن أوريد، محمد ياسر الهلالي، وأخرون كثر، تعددت تخصصاتهم الأصلية ما بين التاريخ والصحافة، وجامعهم المشترك هو تدوين وتداول التاريخ الفوري بتعبير جون لاكوتير.

وإذا كان السياق يقتضي الرجوع إلى خلفياته ومرجعياته، فإن الطيب بياض، يؤسس هذا الانتقال من السياق الغربي إلى العربي والمغربي تخصيصا، من خلال عرض تاريخ موجز لمسار التقاء ورشي الصحافة بالتاريخ، عبر الحديث عن مسارات تشكل عدد من المجلات المتخصصة والدوريات، وكذا الجرائد التي خصصت بعضا من نوافذها وصفحتها للتاريخ.

فمحمد باهي كان له شغف خاص بالتاريخ، وتمثل نوعي للمهام الملقاة على عاتق كل من رام البحث في هذا الحقل المعرفي عن عناصر إجابة لأسئلة واقعه العالقة، وهو القائل: " من واجب الصحفي وهو المؤرخ اليومي بامتياز أن يعكس الانشغالات والهموم الخاصة بمجتمعه، وكأني به- كما يقول بياض- قد تشرب جيدا ما نبه إليه مارك بلوك منذ وقت مبكر متحدثا عن صنعة المؤرخ([18])، ومن هنا سعى بياض للتذكير بفحوى وعمق مقالات باهي من باريس حول مختلف القضايا الافريقية والعربية والمغربية، وكذا القضايا الأوروبية في شموليتها، ناهيك عن ما خصصه من تفصيل يمزج التاريخ في الصحافة لحرب الخليج وتداعياتها وربطها بتاريخ المنطقة ومرجعياتها في العلاقات الدولية.

والسياق نفسه، يأتي ذكر تجربة رائدة أيضا من خلال محمد العربي المساري الذي يعتبره بياض قد فتح أوراشا للبحث والكتابة الصحفية الرصينة والجادة التي تنهل من التاريخ، وتجعل منه مرجعها الفكري وسندها المعرفي، بل، وكما يقول الطيب بياض، وصلت علاقة المساري بالجمعية المغربية للبحث التاريخي إلى ما يشبه الانتساب، عبر حضور أشغال الكثير من أيامها الوطنية، خاصة تلك التي تعقد بالرباط، ناهيك عن روابطه القوية بحنطة المؤرخين المغاربة، والمشاركة معهم في الكثير من اللقاءات العلمية

رغم كثرة التزاماته المهنية والسياسية، فكان نموذجا متقدما للصحافي المؤرخ الذي ترك تراثا ثريا خلال نصف قرن من الإنتاج، يستحق أن يدرس في معاهد التكوين الصحفي ولطلبة التاريخ في الجامعات([19]).

بيد أن تثمين هذا المسعى الذي حقق الانتشار والشعبية على مستوى الشبكة الدلالية للتاريخ في علاقته بالإعلامي والصحافي، سوف يتعمق أكثر مع تخصيص عدد من الجرائد لملاحق وصفحات للتاريخ، من قبيل جريدتي " الاتحاد الاشتراكي"، و "لوجورنال"، وعبر مجلة زمان المغربية في صيغتيها العربية والفرنسية، وقبل ذلك في أواسط السبعينيات من القرن الماضي، مع تجربة زكي مبارك الذي أصدر حينها مجلة شهرية بعنوان: " ملفات من تاريخ المغرب"، والتي كان يبتغي أن يجعلها مجلة تاريخية سياسية علمية من أجل معرفة الماضي لفهم الحاضر. ولكن أيضا عبر إنتاج برامج تلفزية وإذاعية تعنى بالتاريخ في ارتباطه بقضايا الراهن.

فمع بداية الألفية الثالثة، كانت الصحفية سمية المغراوي تخوض تجربة برنامج" في رحاب التاريخ" على القناة المغربية الثانية، مستفيدة من الاستشارة العلمية للمؤرخ عثمان المنصوري، حيث جرى تخصيص حلقاته لقضايا مختلفة من تاريخ المغرب، وتمت استضافة ثلة من المؤرخين المغاربة لتقديم تفسيراتهم وتحليلاتهم بالصوت والصورة حسب تخصصاتهم، ونوعية المواضيع المقترحة للمعالجة الإعلامية، لكن هذا الزخم بدوره سرعان ما توقف، فيما بادر المصطفى بوعزيز، بعد تراكم واختمار إلى استثمار تجربته في مجلة لوجورنال للتجاوب مع فكرة تدشين مشروع إعلامي جديد مخصص للتاريخ، لعل محفزات إطلاق هذا المشروع تتمثل في نسبة إقبال القراء على التاريخ، ليس فقط من خلال تجربة لوجورنال، وتحقيق أعلى المبيعات بفضل التاريخ، ولكن بعد ما بدا واضحا أن التاريخ ليس بضاعة كاسدة كما يروج، إذ إن جل الأسبوعيات كانت تتغذى من التاريخ، فيما الجرائد اليومية غالبا ما تميل إلى تخصيص ملفات نهاية الأسبوع لمواضيع تاريخية.

فبدأ الإعداد لإصدار مجلة شهرية باللغة الفرنسية تعنى بتاريخ المغرب، وهي مجلة زمان([20]).

5- الطيب بياض وكيمياء المؤرخ الصحفي

إذا كان المؤرخ الطيب بياض قد خصص الجزء الأول من كتابه السالف الذكر لعلاقة الصحافة بالتاريخ، من خلال عرض منهجي ونظري شيق اللغة ومتراس البنيان، عبر استحضار أسماء غربية، من فرنسا، بلجيكا، روسيا...إلخ، حتى وإن كانت مرجعية أسمائه الدالة في هذا السياق فرنسية، بحكم انتمائه لمدرسة الحوليات الفرنسية المنشأ، فإنه انتقل في الجزء الثاني من الكتاب نفسه، إلى إضاءة عدد من القضايا والأحداث الراهنة مغربيا وعربيا، موظفا عمقه التحليلي كمؤرخ ملتزم بقضايا العشب والأمة، مدافعا عن ضرورة دراسة الماضي من أجل الحاضر، مقيمة مرافعة صحفية تنتصر للفهم بدل المنهج، وهو في ذلك يكسر نمطية المؤرخ ومفككا القاعدة الوضعانية التي تجعل من التاريخ علما للماضي، بكل ما يحمل مفهوم التفكيكي عند دريدا، من هدم يستلزم البناء، وينتصر لمفهوم التجاوز. خاصة وأن التاريخ نفسه كخطاب، وكنص يزخر في عمقه الثاوي بالكثير من مناطق التوتر والتورية والتناقض حتى، ولذلك فالطيب بياض يتموقع داخل التاريخ، باعتباره مؤرخا، كي يعثر على مناطق اللاتجانس والتوتر، ويخرجها من الخفاء إلى صلب التجلي صحفياً، فالنص كما يدلي بذلك جاك دريدا: " يحمل في ثناياه قوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك له، فهناك دائماً إمكانية لأن تجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه وجعله يتفكك بنفسه، وبالتالي يصبح النقد ليس من الخارج، وإنما بالاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص، وبالعثور على توترات أو تناقضات داخلية ([21])،

ضمن هذا السياق، تأتي كتابات الطيب بياض، من خلال العودة بالحدث/ الأحداث التي يعالجها برد أسسها الجنيالوجية إلى جذورها في الماضي، ليؤسس لمعرفة علمية بقضايا الذاكرة الجماعية، ويفتت معرفة الحس المشترك، وهو في ذلك، يمنح

لكتاباته الصحفية/ التاريخية بعداً بيداغوجياً يهب القارئ قدرة على تفكيك المعطيات والقضايا تفكيكا تاريخاً ومنهجياً عبر مده بكفايات التحليل، التركيب والنقد، مؤكدا أن بنيات المتخيل بتعبير "جليبر دوران " لا تنفصل عن البنيات المادية، وهذه الأخيرة ليست ثمار الحاضر ولا أحد منتجاته، بل هي منتوج له جذور ومرجعيات في الماضي، فبنيات الاقتصاد، أو الثقافة، أو السياسة، أو الدين، أو الاجتماع، أو العمران البشري بتعبير ابن خلدون لا تنفصل في راهنيتها عن الماضي.

على هذا المستوى، يتناول في الجزء الثاني من الكتاب والذي وسمه ب "إضاءات وتفاعلات"، الاقتصاد والسيادة، ثقافة الاحتجاج، الجوار، الإصلاح الضريبي، الفلاحة، وضعية المرأة المغربية، الجهوية، الذاكرة والتاريخ، التعليم، التدبير المفوض، السينما والتاريخ، الأحزاب السياسية، الليبرالية الشرسة، الدبلوماسية، النقابات، وليس أخير، الثورات والإرهاب من البوعزيزي إلى داعش...إلخ، كي يجعل من هاته القضايا الراهنة، معبراً لتقديم دروس بيداغوجية في التاريخ، تاريخ هذه الأحداث والقضايا، التي قد تبدو للوهلة الأولى، أو في سياق الحس المشترك، نتاج الحاضر والراهن، وهو ما تسعى إليه الأنظمة، كما الإعلام الرسمي في العالم العربي، وفي عموم بلدان العالم، خاصة بعد أن أصبح الإعلام الكوني تحت وصاية ورقابة الليبرالية المتوحشة، حسب فرنسوا ديبو([2223]).

ففيما يخص علاقة الاقتصاد والسياسة ودور صندوق النقد الدولي في تعميق الأزمة بالمغرب وعموم بلدان العالم الثالث، فإنه يعد بالقارئ إلى التدخل الأجنبي والاستعمار، مذكرا بوصفة دراموند هاي سنة 1856، وما تبعها من مؤتمرات وإملاءات، وتجليات ذلك كله في فشل الإصلاح الفلاحي والزراعي والضريبي...إلخ، من القضايا والأحداث ذات الصلة، مسترسلا في التأريخ للمسافة الفاصلة بين الهناك وحينها، وألان والهنا. وهو الشيء نفسه، فيما يتعلق بالاحتجاجات والحراك الشعبي بالمغرب، من خلال عودته الواصلة بين السياسة والاقتصاد والاجتماع إلى الحركات الاحتجاجية التاريخية،

من قبيل 23 مارس 1965، 1981، 1984، 1990، 2011، وبروز التنسيقيات، مضيئا خلفيات ومرجعيات أفول العمل الحزبي والنقابي.

وفي السياق العربي والعلاقات الدولية والعربية، فإن الطيب بياض، لا يكتفي بالتعليق عن الأحداث، بل تجده يفككه إلى أسبابه وعوامله وعلله، منتصراً لجدورها التاريخية، حيث يقبع المعنى وتختفي الدلالة، فبخصوص الصراع الجزائري- المغربي، حتى وإن اتخذ ملحا مستتراً في الكثير من الأحيان، وظاهراً في آحايين أخرى، فتجده يعود بأصول هذا الصراع إلى ما قبل حرب الرمال بين البلدين سنة 1963، منقباً عن خلفياته في الاستعمار الفرنسي، الذي لم يغادر البلدين إلا بعد أن زرع بذور التوتر جغرافيا وسياسيا بينهما.

وهكذا لفهم حاضر ومآل هذا الصراع الذي يتوارى أحيانا باسم الجوار والأخوة، لا بد من اقتلاع علله وأسبابه، مسترشدا بأمثلة تاريخية لأمم ودول أخرى، من قبيل فرنسا وألمانيا اللتان انتصرتا بفعل الإرادة السياسية والاقتصادية على صراعهما بعد الحرب العالمية الثانية.

ليس أخيراً، ومن الأزمة الثقافية والفكرية التي أنتجتها نكسة 1967، والتي نتج عنها الكثير من الأحداث والمشاكل المتواصلة في الاشتغال على المستويين الكامن والظاهر، يتناول بياض الثورات العربية في انتقالها من البوعزيزي الذي حرق نفسه منتصراً للفعل الاحتجاجي الثوي الذي يبتغي التغيير باسم قيم الحياة، حتى وإن كان توسل الموت، لكن من أجل أن يحيا المجتمع في كرامة وحرية وعدالة اجتماعية، وهي الشعارات التي رفعتها ثورات الربيع العربي، إلى داعش والجماعات الإرهابية ذات الصلة، مقدما مرافعة علمية ومعرفية في ارتباط التاريخ بالدين والسياسة والاقتصاد...إلخ، والتي، كلها، تعيد إنتاج التفاوت والظلم الاجتماعيين، عبر التعليم، وهو في ذلك، لا يجعل التاريخ مجرد مبحث تحقيبي، بل آلية من آليات الفهم والتأويل كمدخل للعقلانية التي تنتصر للعلم والعقل

والحرية، وهو ما يغيب في مناهجنا التعليمية والتربوية، التي ظلت مرتبطة بالماضي بكل أطره الإيديولوجية لإنتاج السلطوية بتعبير جورج غورفيتش.

على سبيل الختم:

بين الصرامة الأكاديمية والمنهجية، بين لغة الصحافة في سلاستها ولغة المؤرخ المفاهيمية، يساهم المؤرخ المغربي الطيب بياض- إلى جانب عدد من المؤرخين والصحفيين اللامعين- بكثير من الحرفية في تثمين حقل معرفي وبيداغوجي جديد، يقع على تخوم وحدود الفصل والوصل بين التاريخ والصحافة، مستفيداً من ثقافته الموسوعية من جهة، ومن تجارب مؤرخين وصحافيين وإعلاميين اشتغلوا بتواصل ووصل بين الحقلين، بما في ذلك أسماء غربية، عربية ومغربية.

يحق لنا ختاما، أن نعتبر كتاب هذا المؤرخ الجاد، مرافعة بيداغوجية وعلمية من أجل الحقيقة، لطالما كانت ملتقى مبحثي القيم والتاريخ، ولذلك، فتوسيمه الفرعي لعنوان كتابه ب" إضاءات تفاعلية مع قضايا الزمن الراهن"، توسيم يحقق هدفين متعالقين: الأول كونه يؤسس لمنظور مستجد لتفاعل المؤرخ مع قضايا عصره وراهنه، من خلال توظيف تخصصه ومنهجه وأدواته كمؤرخ، والثاني، هو التفاعل الإعلامي والصحفي مع عموم القراء الذين يشكلون بالنهاية الشبكة الدلالية لمعرفة التاريخية.

الهوامش والإحالات:

[1]- الصحافة والتاريخ، لطيب بياض: تجاور إشكالي، من تقديم للكتاب على موقع العربي الجديد، عدد 24 فبراير 2019، على الرابط:
https://www.alaraby.co.uk/books/2019/2/24

[2]-دانيال هيرفيو ليجيه وجان بول ويليام، سوسيولوجيا الدين،ترجمة درويش الحلوجي، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص، 270

[3]- سيار الجميل، تحقيب الأزمنة وحوليات التاريخ ومفاهيم التاريخ الجديد، مجلة عالم الفكر، العدد، 178،أبريل – يونيو، 2019، ص، 257.

[4] -D. Hervieu-Léger,La religion pour mémoire, Cerf,Paris,1993.

[5] -Marc Bloch, Apologie pour l'histoire ou métier d'Historien, édition critique préparée par Etienne Bloch, Armand Colin, Paris, 1993, p.16. نقلا عن الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، إضاءات تفاعلية مع قضايا الزمن الراهن، مرجع سبق ذكره، ص، 20.

[6] - Marc Bloch, Apologie, op.cit, p. 120.

[7] -Ibid, p .122

[8]- الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص ، 23.

[9] -Marc Bloch, Apologie, op, cit, p. 28.

[10]- الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص، 26-27.

[11] -Francois Furet, Un itinéraire intellectuel, L'historien journaliste, de France-Observateur au nouvel Observateur (1958-1997), édition établie et préfacée par Mona Ozouf, Calmann-Levy, Paris, 1999,p. 7.

[12] - Ibid,p.7.48 -47 نقلا عن الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص،

[13]- الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص، 58.

[14]- الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص، 51-52.

[15] - Jean Lacouture, L'histoire immédiate, in la nouvelle histoire, sous la direction de Jacques Le Goff, éd. Complexe, Bruxelles, 1988, p.232.

[16] - Ibid.

[17]- الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص، 53-54.

[18]- الطيب بياض، الصحافة والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص، 55.

[19]- من بين أعماله أذكر على سبيل المثال في السنوات الأخيرة:

- 30 سنة مسيرة، من لاهاي إلى بيكر، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، 2005.

- محمد الخامس، من سلطان إلى ملك، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة،2008.
- ثقوب في الذاكرة، أربع وثائق وطنية، كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2014.
- La presse Marocaine d'expression francaise des origines à 1956, publication de la faculté des lettres et des sciences Humaines, Rabat. 1996.

[20]- الطيب بياض، المرجع السابق نفسه، ص، 60.

[21]- جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاضم جهاد، الطبعة الأولى، توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ،1998،ص،49.

[22] - Voir : François Dubet, Le temps des passions tristes, inégalités et populisme, ed. Seuil, 2019.